تجسيد حلم النقد المشترك في مشروع جامعي لهبة مكداشي

تجربة رائدة لولادة عملة عربية موحدة.. من لبنان

حيدر الحسيني

قد لا يختلف اثنان في الوطن العربي على ان ثمة ما يحول دوماً دون تطلعات الأمة العربية وواقعها على شتى الصعد، مولداً شرخاً هائلاً بين ما نصبو اليه ونحلم به لتطوير حالنا وتحسين شروط عيشنا، من جهة، وبين مرارة الحال وسوء ظروفه، لأسباب لا تخفى - أولم تعد كذلك - الا على السذّج، من جهة أخرى.

الأسباب ليس هذا مقام الخوض فيها بطبيعة الحال، أما التطلعات - الاحلام فيلي، ومنها ما يعنينا في الجانب الاقتصادي، أموراً جمّة أبرزها السوق العربية المشتركة ومنطقة التجارة الحرة العربية الكبرى وتوحيد النظم المالية والتجارية والنقدية وغيرها وصولاً الى العملة العربية الموحدة بمفهومها الواسع، وقد شرعت دول مجلس التعاون الخليجي الست بإعداد العدة لتكوين ما يصح ان نسميه نواتها الأساسية من خلال السعي لإصدار «العملة الخليجية الموحدة».

ولأن الأحلام الكبرى لا تترجم واقعاً الا بعمل دؤوب وخطوات عملية تنفذ بأدوات علمية قوامها أبحاث دقيقة ممنهجة، لم يشأ لبنان الصغير بمساحته الجغرافية والكبير بهمه العربي ان يبقى خارج دائرة الجهود المشتركة لتوطيد أواصر التعاون المشترك في الوطن العربي، تمهيداً لدمج اقتصاده وتعزيز مكانته في عصر التكتلات الكبرى، فانبرت واحدة من بناته وجسدت حلم النقد العربي في مشروع تخرج جامعي نالت على أساسه اجازة في التصميم (Graphic Design) من كلية الهندسة في الجامعة الأميركية في بيروت.

هبة مكداشي التي نفذت مشروعها تحت عنوان «الدينار العربي» قالت لـ«المستقبل»: «لقد استرعى انتباهي ان الكثير من الناس، نتيجة لتأثير الحضارة الغربية، يعتقد ان الجمع بين التراث العربي والحياة الحديثة صعب. لقد ساعدت الثقافة الغربية في ابعادنا عن تراثنا وهويتنا فأصبحنا ثمرة دون شجرة، يمتد تراثنا مئات السنين في الماضي. لذلك اجد انه مؤلم ألا يستحوذ على الاهتمام الذي يليق به. واذا اردنا ابراز ثقافتنا فيجب اعتماد اسلوب خاص مختلف عن الأسلوب القديم المعتمد في الماضي، ومختلف عن الأسلوب الغربي الحديث، لأن ذلك يفقدها جاذبيتها وروحها الشرقية. لهذه الأسباب رميت من خلال بحثي الى ايجاد وسيلة لإبراز تاريخنا الحضاري العظيم وثقافتنا العريقة وتحصينهما حيال النتائج السلبية للعولمة. كذلك أردت تحفيز الجيل الجديد على مزيد من الجهد للتطور ولمزيد من الثقة بالنفس».

لكن مشروع هبة لم يخل بالطبع من بعض الثغرات، فهو اذ يبرز التمسك بالتاريخ والحضارة والتراث هدفاً له، نجد «الدينار» صادراً عن «البنك المركزي العربي» بدلاً من «المصرف المركزي العربي»، وظل قاصراً عن تصميم نقود معدنية، والسبب هو التزام الهدف الأكاديمي للمشروع، على ما تقول مكداشي، ولم يتنبه في ثنايا تصميم بعض النقود الورقية الى ضرورة مراعاة التنوع التراثي الديني في الوطن العربي تاريخاً وحضارة (...).

ماذا في تفاصيل المشروع؟

الدينار العربي.. رمز تحصين تاريخ الأمة وثقافتها بمواجهة العولمة

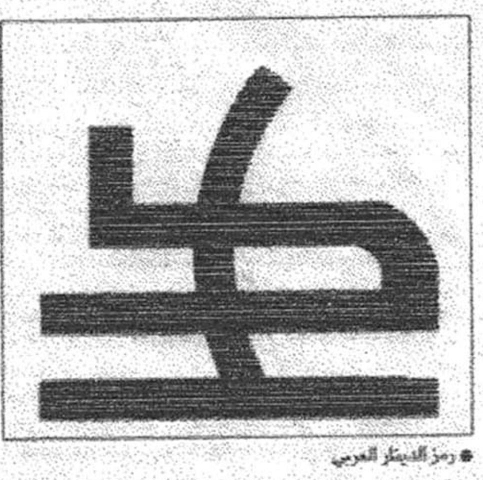

● رمز الدينار العربي

● هبة فيصل مكداشي

(أحمد عزالدين)

تقول مكداشي: «فكرة العملة العربية الموحدة ليست جديدة. فقد برزت عند ظهور الاسلام وبقيت تستعمل حتى انهيار الامبراطورية العثمانية. وفي هذه الفترة كان هناك الدينار والدرهم والفلس. وقد برزت الفكرة من جديد عام ١٩٤٥، ولكنها لم تجد طريقها الى التنفيذ».

وتضيف: «أما اختياري العملة وسيطاً لتحقيق هدفي، بنشر التراث العربي على الصعيد الشعبي وابراز معالم الحضارة العربية ومنجزاتها في مختلف الميادين، فهو لأن العملة هي من الوسائل الدعائية الفعالة، لأنها تصل الى كل أفراد المجتمع، صغاراً وكباراً، ولأنها تعطي انطباعاً جيداً عندما تتداولها البلاد الأجنبية. ومثالاً على ذلك فإنها استعملت في العصور القديمة (مثلاً العهد الإسلامي) لتبرز احداثاً سياسية او اقتصادية او اجتماعية معينة، وفي العصر الحاضر، مثلاً اليورو، لترويج فكرة الاتحاد الأوروبي وعلاقته بالعالم الخارجي».

وعن مراحل المشروع، تقول هبة: «لقد مر مشروع «الدينار العربي» ... العصر الحاضر.

- مرحلة بحث عن العملات العربية الحاضرة.

- مرحلة تصميم الدينار العربي الموحد».

وتوضح قائلة: «اذا ما امعنا النظر في العملات المختلفة في الدول العربية، نجد ان لها خصائص مشتركة منها:

- صممت الرسوم لإظهار اكبر قدر ممكن من معالم البلد.

- في عملات بعض الدول العربية، تركز الرسوم المطبوعة على اظهار الحياة الحديثة كصور المصانع والمطارات والسدود.

- الرسوم جميلة في ذاتها، ولكنها تفتقر الى الزوايا البارزة والمحاور الاساسية والخطوط المميزة.

- لا رابط واضحاً مهماً بين الموضوع على وجه العملة وظهرها، وبين فئة وأخرى، على عكس ما يجب ان تكون جزءاً من نظام متكامل، يشد اهتمام الناظر ويجبره على تأمل جميع الفئات الواحدة تلو الاخرى».

واتبعت مكداشي في اعداد مشروعها خطة تقول فيها: «الى جانب البحث الذي قمت به والمراجع التي استعنت بها، رأيت ضرورياً ان استطلع رأي بعض سكان الدول العربية، بشأن اسم العملة الموحدة المقترحة والمواضيع التي ستتناولها والرموز التي ستستعمل. لذلك صممت استمارة وأرسلتها بواسطة الشبكة الدولية «الانترنت» الى عينة اخترتها عشوائية في مختلف الدول العربية. وتتكون هذه العينة من ٣٠٠ شخص استجاب ٢٠٠ منهم، وكانت نتيجة الاستطلاع ما يلي:

- اسم العملة: الدينار العربي.

- المواضيع: فن العمارة والعلوم عند العرب.

- الرموز: الفرس والجمل والنخيل والهلال واللون الاخضر.

- الفئات: ٦ فئات (١ - ٥ - ١٠ - ٢٠ - ٥٠ - ١٠٠)».

وتضمنت خصائص التصميم محورين هما:

١ - الشبكة الاساسية: بالاستناد الى منطق منظومة «الأرابسك» اخترت شبكة موحدة لكل فئات العمل قياسها ٨ × ١٦، لذلك جعلت الدائرة عنصراً مهماً في التصميم، لأن العرب استخدموا هذا الشكل كثيراً في علومهم وفنونهم وفلسفتهم.

٢ - الخط المستعمل: اما عن الخط، فلقد طورت نموذجين متحدرين من الخط الكوفي، واحد استعملته للعنوان «البنك المركزي العربي»، والآخر للنص «دينار عربي، خمسة، عشرة، عشرون، خمسون، مئة».

وماذا عن فلسفة التصميم؟ تجيب هبة مكداشي، في اتجاهين اساسيين:

● اولاً: مواضيع الرسوم المختلفة: نتيجة للاستطلاع، تبين ان ٧٠٪ من المشاركين اجابوا بأن الوجه الامامي للعملة يجب ان يحمل صوراً للاكتشافات العلمية في الرياضيات والعلوم الطبية وعلم الفلك والكيمياء والطبيعة، فيما اجاب ٦٠٪ بأن الوجه الخلفي للعملة يجب ان يحمل اشكالاً من فن العمارة العربية.

وقد خضع اختيار الرسوم المعايير التالية:

- الاكتشافات العلمية يجب ان تكون مهمة.

- الحلول الناتجة من الاكتشافات العلمية يجب ان تكون مستعملة حتى الآن.

- التاليفات يجب ان تكون بشكلها الاصلي كما وردت في النصوص الاصلية.

- فئة الخمسة دنانير: الامام: الجبر وعلم المثلثات، والخلف: الخط في فن العمارة.

- فئة العشرة دنانير: الامام: الكيمياء و«Alchemy»، والخلف الارابسك في فن العمارة.

- فئة العشرين ديناراً: الامام: الفيزياء، والخلف المقرنص في فن العمارة.

- فئة الخمسين ديناراً: الامام: الفلك والبطرلقيا، والخلف «قنطرة حدوة الحصان».

- فئة المئة دينار: الامام: الطب، والخلف «القنطرة البارزة».

- فئة الدينار (الدينار خاص) الموسيقى عند العرب.

● ثانياً: نظام الأمن المعتمد: لكل عملة نظامها الامني الخاص لحمايتها من التزوير. واذا ما نظرنا الى نظام الامن المعتمد في بعض العملات العربية المعتمدة ومنها اللبنانية، نجد انه دخيل على العملة اذ انه مستقل وغير متناسق مع التصميم، وهذا ما حاولت تجنبه. لقد جعلت نظام الامن في الدينار العربي جزءاً عضوياً من التصميم، وفي الوقت نفسه شاملاً جميع شروط الامن المعتمدة في العملات.

ولاختيار الرموز التي ستدخل في نظام الامن، اعتمدت ايضاً نتائج الاستطلاع، وقد اجمعت الاجابات على خمسة رموز هي: اللون الاخضر من بين الألوان، الهلال من بين الرسوم، والنخيل من بين الاشجار، والحصان والجمل من الحيوانات. ثم صممت ٥ ايقونات تحمل كل منها رسماً معبراً لكل من العناصر المذكورة اعلاه ثم جعلت لكل فئة من العملات ايقونة لتكون الحجر الاساس لبناء نظام الامن.